**عناصر المحاضرة : [ مفهوم النقائض ( لغة، اصطلاحا ) – العوامل المؤدية إلى نشأة النقائض وازدهارها– نشأة النقائض – خصائص شعر النقائض – قيمتها – شعراء النقائض ( الأخطل، الفرزدق، جرير )]**

**تمهيد :**

لقد كان للخلافات السياسية والقبلية انعكاسات واضحة على المشهد الشعري في العصر الأموي، فكانت النقائض من أبرز الفنون الشعرية رواجا في ذلك العصر وأكثرها تعبيرا عن الحياة العربية آنذاك، فبرز شعراء فحول ملأت أخبار نقائضهم الدنيا وشغلت الناس ردحا من الزمن غير قليل، وهم : جرير والفرزدق والأخطل، يقول الجاحظ منوها ومشيدا بهم: « الذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه، ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوا، وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم، وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم، وسكتوا عن بعض من هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم، وهم إسلاميون: جرير والفرزدق والأخطل » [1]، و في هذا السياق نتساءل عن مفهوم النقيضة في التراث النقدي ؟ وعن العوامل التي أدت إلى نشوئها وازدهارها؟ وخصائصها الفنية؟ وقيمتها؟ وكيف تجلت النقائض عند فحولها في العصر الأموي ؟

**مفهوم النقائض :**

**لغة :**

النقائض جمع مفرده نقيضة، وهو من النقض : يعني الهدم، ومنه قولهم : نقَض البناء إذا هَدَمَه، والنقض ضد الإبرام والتحلل ومنه قوله تعالى : ((وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً )) [النحل : 92]، وقوله تعالى : ((الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ )) [البقرة : 27]، ويكون للحبل ومجازا للعهد، وناقَضَه في الشيء مناقضةً ونِقَاضًا خالفه، ونقيضك الذي يخالفك، وقد عُرف المعنى المادي الذي يتمثل في نقض البناء أو نقض الحبل أولاً، ثم جاء المعنوي الذي يبدو في نقض العهود والمواثيق، ثم جاء المعنى الأدبي من قولنا : نقض القول، وفي الشعر أن ينقض الشاعر ما قال الأول، حيث يأتي بغير ما قال خصمه، وقد اشتهرت في هذا المعنى نقائض الفرزدق وجرير والأخطل [2]

---

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج04،البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط07، 1998، ص83.

[2] – يُنظر : أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ج02، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998، ص 299 ، ابن منظور، لسان العرب، ج07، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 1414هـ، ص242– 243.

**اصطلاحا :**

هو أن « يقول الشاعر قصيدة، فينقضها عليه خصمه أي يرد عليه، ويلتزم في ذلك ما التزمه صاحبه من الوزن والقافية غالبا، وكثيرا ما يعرض لنفس تلك المعاني التي قصد إليها الشاعر، فينفيها أو يفسدها بأي وجه من الوجوه » [1] إذن فالنقيضة قصيدة يرد بها شاعر على قصيدة لخصم له، فينقض معانيها عليه، ويقلب فخر خصمه هجاء ، وينسب الفخر الصحيح إلى نفسه هو، وقد يشترك في النقيضة أكثر من شاعر، بحيث يقول الشاعر قصيدة فينبري له أكثر من شاعر ينقض قصيدته، كما حدث لجرير الذي ناقضه ستة عشر شاعرا، وهي تتأسس –كما سبقت الإشارة إليه – على عدة خصائص نجملها فيما يلي :

1/ **نقض المعاني** : وشأن الشاعر الذي يردُّ على نقيضة صاحبه أن يُعنى بإفساد دعواه، بحيث « يضع إزاءها ما يقابلها، أو يقلل من شأنها، وربما ذهب إلى إظهار الإدعاء وتكذيبه، أو إلى مقابلة المعنى بنظيره، فإذا مدح الأول قومه، مدح الثاني قومه أيضا، أو إلى قلب معاني صاحبه وردِّها عليه » [2]

2/ **وحدة الموضوع** : بحيث يشترط فيها أن تتناول الموضوع نفسه، الذي تناوله الخصم؛ فخرا أو هجاء، أو سياسة.

3/ **وحدة الوزن والقافية** : إذ من الضروري أن تكون النقيضة مشتركة مع القصيدة المراد نقضها في وزنها، وبحرها الذي نظمت به، والقافية لأنها تصدر عن النسق الموسيقي العام للنقيضة، والروي إن أمكن.

**العوامل المؤدية إلى نشأة النقائض وازدهارها:**

**1/ العصبية القبلية:** التي ما زالت تجري في عروق العرب منذ الجاهلية؛ سواءً في تمجيد القبيلة، أو التفاخر بالأنساب، أو التحدث عن الشّرف والرِّفعة في الحرب، وفي المقابل ذكر « مثالب القبائل، وما أخذ عليها في سابق أيامها، من بخل وجبن، وإخفار للذمام، وإضاعة لحق الجوار » [3]، وقد كان النصيب الأوفر من المهاجاة، ما يخصُّ الأعراض « فقد سُبَّت الأمهات والبنات، ورميت بالفحشاء، ولقبن أشنع الألقاب، وكان نصيب الآباء من ذلك موفورا، فقد رُموا كذلك بالفحشاء، وسُبوا مسبات النساء، كما نُسبوا إلى الضعة والامتهان بتناول الصناعات » [4]، إذ معلومٌ أن العرب كانت تأنف وتترفع عن أن تنسب إلى الصناعات، فكان ترى في نفسها أنه لا يليق بها إلا المجالدة بالسيف، والنفير إلى ساحات القتال، ولهذا آكثر جرير من هجاء الفرزدق بأبيه؛ الذي كان قيناً ( حدادا).

2/ **العوامل الاجتماعية:** ومردَّها إلى الفراغ التي تعيشه القبائل العربية، بفعل التغيرات الحاصلة في المجتمع خاصة على صعيد ازدهار مستوى المعيشة، وانتقال العرب من طور البداوة إلى المدنية والحضارة، الأمر الذي آذن بوجود الدعة والفراغ والحاجة إلى ضروب من الملاهي، فجاءت النقائض استجابة لهذه الحاجة، في البصرة وغيرها من حواضر الدولة الأموية.

---

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1990، ص519.

[2] – سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط01، 2009، ص356.

[3] – محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه، في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية، ج01، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط02، 1356هـ، ص 313.

[4] – المرجع نفسه، ص313- 314.

3/ **تطوّر الحياة العقلية والفكرية:** ويرجع ذلك لما استجد في الثقافة العربية آنذاك من شيوع فنون الجدل والمناظرة والحجاج، خاصة في الملل والنحل والفقه والعقيدة، بل والسياسة كذلك ( الشيعة، الخوارج، الزبيريون، الأمويون، الموالي )، ما انعكس على شعراء النقائض فراحوا « يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها، وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة، ويبحث في أدلته ليوثقها، وأدلة خصمه لِيَنْقُضَهَا دليلا دليلا » [1]

4/ **العوامل المادية** : وهي متعلّقة بأسباب المعيشة، والبحث عن طريقة لكسب المال، ولما كان خلفاء بني أمية وولاتهم يجدون في النقائض غايتهم من حيث إنها تحمل مع الهجاء مدحهم والإشادة بهم، وذكر حقهم، وغير ذلك، فقد أغدقوا على شعراء النقائض من العطايا والأموال الكثيرة.

5/ **العوامل الذاتيّة:** فكلّ شاعر من الشعراء يرغب في إظهار قدرته ومهارته الشّعرية في الإبداع والتصوير، والرغبة في الشهرة، خاصة وأنه إذ ذاك « كانت رواية الشعر شائعة، ومجالسه كثيرة، وأسواقه زاخرة » [2]، بل والسعي لإظهار الخصم في أقبح صورة، وذلك بتحقيره وإذلاله، والمبالغة في السخرية منه ومن قومه، بحيث يستثير الناس ويشركهم معه في التفكه والهزء والتهكم به، وهذا العامل يسميه أحمد الشايب (( المصدر النفسي )). [3]

فالمتأمل لفن النقائض يجد أنها ابتدأت بفعل عوامل سياسية وقبلية، لكنها سرعان ما أصبحت واقعة « تحت تأثير مسرح المربد الكبير، بحيث نراها تتجاوب بسرعة مع أهواء وأجواء الجماهير، التي تريد ان تقطع الوقت في اللهو والتسلية والمبارزة الأدبية » [4]

## نشأة شعر النقائض :

لقد نشأت النقائض مع نشأة الشعر، يقول أحمد الشايب : « لذلك رأينا هذا الفن ينشأ في حضيرة الشعر الجاهلي طفلا يحبو، ثم تستقيم قدماه فينمو سريعا حتى نراه شابا قويا، ولاسيما في ظلال السيوف وبين الأيام، فلما جاء الإسلام ظفر به فنًّا موطّأ الأكناف، كثير الأبواب فاستغله في سبيل دولته » [5] وقد تطور في عصر صدر الإسلام وإن لم يتسمَّ بالنقائض ، فقد كانت تَسمَّى حينا بالمفاخرة وأخرى بالملاحاة والمعارضة وما إلى ذلك من أشكال النفار، وقد ظهر في العصر الجاهلي، استمرارا للهجاء القبلي، فكان يبعثها عادة خلاف بين قبيلتين أو أسرتين فينتصر شاعر لقومه أو أحلاف قومه، فيرد عليه شاعر من هؤلاء، فيعود الأول إلى الرد عليه، ثم يلتحم الهجاء، أيضا ما كان بين القبائل من حروب وأيام، كحرب البسوس وداحس والغبراء، وأيام الأوس والخزرج وغيرها، أيضا المنافسة على الغدران والمراعي، وقد كانت النقائض في البداية غير ناضجة؛ لا تلتزم إلا بنقض المعنى، مما جعلها لا تبلغ درجة النقيضة التامة، وإن لم تبعد عنها كثيراً، ولاسيَّما في جانب القافية، فهي نشأت مثل أي فن من الفنون مفككة بسيطة، حيث إن أكثرها يتكئ على صور نمطية في الهجاء لا تخرج عن المهاجاة بالبخل والجبن والقعود عن الثأر، ثم في الإسلام أُضيف لها الهجاء بالكفر

---

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ( العصر الإسلامي )، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11، 1989، ص 242.

[2] – محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه، في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية، مرجع سبق ذكره، ص 313.

[3] – تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط04، ص 39.

[4] – سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص373.

[5] – تاريخ النقائض في الشعر العربي، مرجع سبق ذكره، ص 02.

والشرك ومعاداة الرسول والنفور عن الدين الحق، وهي مع هذا كانت وقتية فقط، لا تظهر إلا بظهور الدواعي ثم يخفت بريقها حينا، ثم يظهر مرة أخرى وهكذا « معنى ذلك أن العرب قبل عصر بني أمية، لم يعرفوا هجاء منظما، يستمرُّ يوميا استمرارا متصلا، على نحو ما يستمرُّ في عصرنا إخراج الصحف اليومية، إنما عرفوا هجاء متقطعا، يظهر من حين إلى حين، تبعا لنشوء حروب وأيام بينهم » [1] ، ثم ما لبث أن بدات بوادره الحقيقية تظهر من خلال المعركة الشعرية بين المسلمين والمشركين، إلى أن قويت واتضحت أركانها وعناصرها الفنية على يد الفحول من شعراء بني أمية، حيث اتخذ الصورة النهائية للنقيضة ذات العناصر المحددة، التي أشرنا إليه في تعريفها، وأصبحت شغل الناس في المربد والكناسة، ما أن يطلع فجر يوم جديد إلا وهم يتلهفون ماذا قال جرير في الفرزدق، أو الأخطل في جرير« يتحلقون حولهم لاستماع ما يأتون به، بعضهم من قبائلهم، وبعضهم من قبائل أخرى، جاءوا للفرجة والتسلية وقطع الفراغ » [2]

## خصائص شعر النقائض :

**1**/ اشتراك النقائض في طول قصائدها واستيعاب معانيها، وبخاصة نقائض جرير والفرزدق، حيث إنَّ كثيرا منها يزيد عدد أبياتها على السبعين بيتا، وهذا مما تنفرد به نقائض العصر الأموي على نقائض العصر الجاهلي والإسلامي.

2/ غلبة الفخر القبلي على النقائض، خاصة عند الفرزدق في فخره بآبائه وأجداده، بحيث تأخذ في أكثرها نصف القصائد، وجرير في مناقضته للأخطل، لأن جريرا ينتهي نسبه لمضر، والأخيرة أصل قبيلة قريش؛ قبيلة النبوة والخلافة، بخلاف الأخطل التغلبي .

3/ فشو الفحش والابتذال والسفاهة في النقائض « حتى لتكاد تنبو عن الأسماع، وبهذه الفواحش كان كل شاعر منهما يرمي بها نساء الشاعر الآخر، دون أي اعتبار ديني أو خلقي » [3] وقد كان جرير أفحش الثلاثة، وأمعنهم في تصوير الشعراء ونسائهم وأمهاتهم تصويرا مقذعا موجعا، ومعلوم أنَّ هذا الفحش لم يكن يأخذه المتخاصمون مأخذ الجد، وإلا لكان أقل ما جاء منه خليق بأن تراق على جوانبه الدماء وتثور الحروب.

4/ التأثّر بأسلوب المناظرة الأمر الذي مكّن أصحاب النقائض من « القدرة على الحوار والجدل، ومكّن في شعرهم لفكرة التعليل والتَّسبيب ووضع المقدمات، وتلوين الهجاء بألوان عقلية حديثة » [4] ويعود هذا التأثر إلى تطوّر الحياة الفكريّة والعقليّة في البصرة، وانتشار الفرق الكلامية كالشيعة والجبرية والقدرية والمرجئة، وتأثّر الشعراء بالعلماء والفقهاء المسلمين.

5/ اختلاف الشّعراء الثلاثة في طريقة التّعبير، فمنهم من اعتمد الخطاب المباشر، أو الحديث بلغة الجماعة الغائبين، أو بلغة الفرد.

6/ اعتماد الشّعراء على أسلوب السّخرية والتهكم في نقض حجج الخصم، وفي تقديم الصور والمعاني، ولجرير القدح المعلى واليد الطولى، ولهذا فاق صاحبيه في فنِّ الهجاء.

---

[1] – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط08، 1987، ص163.

[2] – المرجع نفسه، ص 163.

[3] – سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 363.

[4] – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 185.

7/ اتساع المعاني وتعقيدها، ففيها الجاهلي والإسلامي، وفيها البدوي والمولّد، مع ما فيه من تلوين ديني وعقلي وسياسي وقبلي.

8/ الاتكاء على المعطى الديني والمعاني الإسلامية عند جرير والفرزدق، وغابت عن الأخطل لنصرانيته، ولهذا « نرى الفرزدق يفخر بنفسه وبقومه، وينسج لنفسه صورة تتصل اتصالا واضحا بأسباب الدين الإسلامي وقيمه ومظاهره »[1] وهو ما ينفيه عنه جرير، ويكشف تهتك الفرزدق ومجونه، وتكالبه على النساء، ولبسه لبوس الدين كذبا وبهتانا، وفي المقابل نجده يحط من قيمة الأخطل ويعيره بنصرانيته وعبادته للصليب وأكله الخنزير وقرعه النواقيس ولبسه برانس الرهبان وإتيانه النساء في المحيض وغير ذلك، ولهذا ضيقت النصرانية على هجاء الأخطل، في حين وسع الإسلام على هجاء جرير.

## قيمتها :

للنقائض قيمة لغوية كبيرة، فشعراء المناقضات حفظوا بها اللغة العربية صافية كما كانت في الجاهلية، فالألفاظ التي جاءت بها النقائض كانت كثيرة كثرة أغنت المعجم العربي، وكان أكثرها غريبا متصلا بالمعاني الجاهلية القديمة، بل لعل قسما من ألفاظ النقائض كانت أكثر غرابة من ألفاظ المعلقات، هذا إضافة إلى أنها تعدُّ سجلاً تاريخياً ساعد على معرفة أيام العرب وأنسابهم، « فليس هناك من حرب وقعت في الجاهلية بين هذه القبائل، أو بين فروعها وغصونها، وكذلك ليس هناك من حرب وقعت بينها في الإسلام إلا ويسلكها الشاعران في نقائضهما »[2] زد على ذلك فهي مرآة صافية تعكس حياة العرب وأخلاقهم وعاداتهم في الجاهلية والإسلام.

وفي الختام لابد من القول إنَّ النقائض قد تحول بفعل التطور في حياة العرب – الاجتماعي والعقلي والحضاري – إلى فن جديد بعدما كانت له بذور قديمة متمثلة في الهجاء، إلا أن النقائض تختلف معه من حيث الغاية؛ بحيث أصبح يراد بها الهزل واللهو لا الجد، وأما من حيث الصورة، فتختلف اختلافا كاملا، بحيث احترفها الشعراء احترافا، وكانت تنشد قصائدها يوميا، إمتاعا للناس وترويحا عنهم، وإظهارا للمهارة الشعرية، والقدرة على إفحام الخصوم.

### شعراء النقائض:

### الأخطل[3]:

هو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت التغبي من أهل الحيرة، ليس له تاريخ ولادة محددة، إلا أنَّ الذي يرجحه الدارسون، أنه ولد في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ومات سنة 92 هـ، لقب بالأخطل أي ((السفيه))، لخبث لسانه، وبذي الصليب؛ لأنه كان نصرانيا يعلق صليبًا على صدره، نشأ الأخطل في قبيلته (( تغلب ))، ذات التاريخ الحافل والمجد المؤثل، التي كانت تدين بالنصرانية، وأبت أن تنزل عن دينها للإسلام، ورضيت أن تدفع الجزية، فأقرها عمر على نصرانيتها، وكانت منازلها في العراق والجزيرة، فنشأ شاعرنا مزهوا بفضائل قومه، يحفظ أخبارها ويروي أشعارها، نشأ في

---

[1] – سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 364.

[2] – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 190.

[3] – يُنظر للاستزادة : إيليا الحاوي، الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط02، 1981.

بادية الجزيرة وصار بينه وبين شاعر تغلب الفذ كعب بن جُعَيْل هجاءً مرًّا كشف عن شاعر شاب في مقتبل العمر يستطيع أن ينهض في شعره، ويدافع عن مكارم قومه، وكانت تغلب من أهم القبائل التي وقفت مع معاوية، وكان أن حدثت بين الأمويين والأنصار (وكانوا مغاضبين لبني أمية) معركة شعرية احتاج يزيد بن معاوية فيها إلى لسان شاعر يدفع عنه ما أصابه من هجاء، فهاب الشعراءُ الأنصارَ وهجاءَهم، ولم يجد كعب بن جُعَيْل الشاعر الأموي فرصة أنسب من هذه كي يسقط الأخطل – منافسه – فدلّ عليه بعدما اعتذر عن هجاء الأنصار، وقد أراد بهذا « أن يلقي خصمه في تهلكة لما ناله من شرِّ لسانه، فنفعه من حيث لا يريد » [1]، فهجا الأنصار واتصلت بعد ذلك أسبابه بالبيت الأموي حتى حتى صار في عهد عبد الملك بن مروان شاعر الخليفة الرسمي، وترجع قصة دخول الأخطل حومة النقائض، أنَّ بشرا بن مروان أخو عبد الملك بن مروان دعاه إلى أن يحكم بين جرير والفرزدق، وأن يُفَضِّل أحدهما على الآخر، ففعل بعد تردد، ففضل الفرزدق على جرير نزولا عند طلب قوم الفرزدق الذين أكرموه، فهجاه جرير هجاء مرًا ورد الهجاء بمثله وتحولت معركة جرير معه إلى نقائض تضعضع فيها أمام جرير في بعض المواقف ولم ينهزم حتى آخر لحظة من حياته، وكان مولعا بشرب الخمر، مستهترا بأحكام الدين، وهو القائل لعبد بن الملك بن مروان لما طلب منه أن يسلم [2]:

| | |
|---|---|
| وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعًا | وَلَسْتُ بِآكِلٍ لَحْمَ الأَضَاحِي |
| وَلَسْتُ بِقَائِمٍ أَبَدًا أُنَادِي | قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ |
| وَلَكِنِّي سَأَشْرَبُهَا شَمُولًا | وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ |

وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، واتفق النقاد على أنه واحد من ثلاثة هم أشعر أهل عصرهم، بل إن من النقاد واللغويين من يفضله على صاحبيه كحمَّاد الراوية وأبو عبيدة، وكان يُشبَّه بالنابغة الذبياني، وقد سأل جريرا ابنُهُ، أأنت أشعر أم الأخطل ؟ فقال : « يا بني، لو أدركني الأخطل وله ناب آخر لأكلني، ولكني أعنت عليه بخصلتين :كبر سنٍّ، وخبث دينٍ » [3]

## نموذج من نقائض الأخطل [4] :

| | |
|---|---|
| أَمَّا كُلَيْبُ بن يَرْبُوع فَلَيْسَ لَهُم | عِنْد التَّفَارُط إِيرَاد وَلَا صَدَرُ |
| مُخَلَّفُونَ ويقضِي الناسُ أمرَهُمُ | وَهَمْ بِغَيْبٍ وَفِي عَمْيَاءَ مَا شَعَرُوا |

[1] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 317.

[2] – الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1994، ص 72.

[3] – أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1995، ص 163.

[4] – هذه القصيدة من أشهر قصائده، زعم الأخطل أنه أفنى في نظمها حولا ما بلغ كل ما أراد، ومطلعها :

| | |
|---|---|
| خفَّ الْقطِينُ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا | وَأَزْعَجَتْهُمْ نَوًى فِي صَرْفِهَا غِيَرُ |

***

| | |
|---|---|
| بِئْسَ الصُّحَاةُ وَبِئْسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُمْ | إِذَا جَرَى فِيهِمِ المُزَّاءُ وَالسُّكُرُ |
| قَوْمٌ تَنَاهَتْ إليهِمِ كلُّ مخزيةٍ | وكُلُّ فاحشةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُ |
| الآكِلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ وَحْدَهُمُ | وَالسَّائِلُونَ بِظَهْرِ الغَيْبِ مَا الخَبَرُ |
| يَتَّصِلُونَ بِيَرْبُوعٍ وَرِفْدُهُمُ | عِنْدَ التَّرَافُدِ مَغْمُورٌ وَمُحْتَقَرُ |
| صُفْرُ اللِّحَى مِنْ وَقُودِ الأَدْخِنَاتِ إِذَا | رَدَّ الرِّفَادُ وَلَفَّ الحَالِبَ القَرِرُ |
| ثُمَّ الإِيَابُ إِلَى سُودٍ مُدَنَّسَةٍ | مَا تَسْتَحِمُّ إِذَا مَا احْتَكَّتِ النُّقَرُ |
| وَأَقْسَمَ المَجْدُ حَقاً لَا يُحَالِفُهُمْ حَتَّى | يُحَالِفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعَرُ [1] |

## أبيات سائرة للأخطل في فن النقائض :

| | |
|---|---|
| وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ | رَجَحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي المِيزَانِ |
| قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخْفَوا كَلَامَهُمْ | وَاسْتَوْثَقُوا مِنْ رِتَاجِ البَابِ وَالدَّارِ |
| قَومٌ إِذا اسْتَنْبَحَ الأَضْيَافُ كَلْبَهُمُ | قَالُوا لأُمِّهُم بُولِي عَلَى النَّارِ |
| فَتَمْنَعُ البَوْلَ شُحًّا أَنْ تَجُودَ بِهِ | وَمَا تَبُولُ لَهُمْ إِلَّا بِمِقْدَارِ |
| وَالخُبْزُ كَالعَنْبَرِ الهِنْدِيِّ عِنْدَهُمُ | وَالقَمْحُ خَمْسُونَ إِرْدَبًّا بِدِينَارِ |

## الفرزدق :

هو أبو فراس همَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارميّ، لقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه (( والفرزدق هو الخبزة الغليظة )) ، ولد بالبصرة سنة 20 هـ، ونشأ في باديتها، ينتهي نسبه إلى بيت شرف وسؤدد لا تُدْفع مآثره، وكان لذلك أثر شديد في نفسيته، إذ كان يعتدُّ بآبائه اعتدادًا شديدًا، حتى أولئك الذين عاشوا في العصر الجاهلي، فقد كان أبوه من أجود العرب، وأم ليلى بنت حابس أخت الصحابي الجليل الأقرع بن حابس، وجده صعصعة من الصحابة كان يحيي المؤودة في الجاهلية، وكذلك يفخر بعشيرته بني دارم وقبيلته تميم، وقد كان منذ نشأته قوي البيان محبًا للخصومات، يهجو من حوله من قومه ومن غيرهم، حتى قاده حبه للخصومة إلى أرض المعركة بينه وبين ندِّه جرير، فاشتعلت بينهما معركة النقائض، صال الفرزدق فيها وأشعلها حربًا لا هوادة فيها على خصمه، واتخذ من نسبه ومكانة عشيرته سلاحه الذي يشْهره في وجه جرير فيدفعه إلى مضايق الطرق، يقول محمد بن سلام الجمحي عن نقائض جرير والفرزدق : « لم يتهاج شاعران فِي الْجَاهِلِيَّة وَلَا الْإِسْلَام بِمثل مَا تهاجيا بِهِ » [2]، واستمرَّت معركتهما أكثر من أربعين عاما، لم يغلب فيها أحدهما

[1] – الديوان، شرحه وصنف قوافيه وقدم له : مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1994، ص 109- 110.

[2] – طبقات فحول الشعراء، ج02، تح :محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، دط، دت، ص 389.

صاحبه، وقد اشتبك من أجل ذلك مع كثير من الشعراء، هجاهم وهجا قبائلهم، كما كانت علاقته في أول شبابه مع الولاة غير محمودة؛ فهو متقلب المزاج، فمرة يظهر ولاؤه لبني أمية فيمدحهم، ومرة ترى أن هواه مع أبناء علي وشيعته فيمدحهم، ولعل هذا ما اضطره لترك العراق إلى المدينة المنورة، واستمرت علاقاته غير محمودة حتى آخر أيامه، وقد حُبِس في عهد هشام بن عبد الملك.

وقد كان مع جودة شعره وفخامة عبارته وجزالة لفظه في الفخر والمدح والهجاء، يقصر عنهما في الغزل والرثاء؛ حيث كان فيهما متصلب العاطفة جافيها، وكان يتهم بسرقة شعر غيره، وله في هذا قصصٌ كثيرة.

وضعه ابن سلام في الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، وقد حفل ديوان الشعر العربي بكثير من أبياته التى صارت مضرباً للمثل والاستشهاد، يُشَبَّه شعره بشعر زهير بن أبي سلمى، فضله كثير من النقاد على صاحبيه جرير والأخطل كالمفضل الضبي ويونس بن حبيب، ويعدُّ أحد مصادر اللغة، حتى قيل عنه: « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة » و « لولا شعره لذهبت نصف أخبار الناس »

توفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة عام، سنة 114هـ.

## نموذج من نقائض الفرزدق [1]:

| | |
|---|---|
| كَسَعْتُ ابْنَ المَرَاغَةِ حِينَ وَلَّى | إلى شَرِّ القَبَائِلِ وَالدِّيَارِ |
| إلى أَهْلِ المَضَايِقِ مِنْ كُلَيبٍ | كِلَابٌ تَحْتَ أَخْبِيةٍ صِغَارِ |
| نِسَاءٌ بِالمَضَايِقِ مَا يُوَارِي | مَخَازِيهُنَّ مُنْتَقَبُ الخِمَارِ |
| وَلَوْ تُرْمَى بِلُؤْمِ بَنِي كُلَيبٍ | نُجُومُ اللَّيلِ مَا وَضَحَتْ لِسَارِي |
| وَلَو لَبِسَ النَّهارَ بَنُو كُلَيبٍ | لَدَنَّسَ لُؤْمُهُمْ وُضَحَ النَّهَارِ |
| وَمَا يَغْدُو عَزِيزُ بَنِي كُلَيبٍ | لِيَطْلُبَ حَاجَةً إلاَّ بِجَارِ |

## أبيات سائرة للفرزدق في فن النقائض :

| | |
|---|---|
| مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهَجَوْتَهَا | أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَانِ |
| أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ | إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ |
| إِنَّ المَكَارِمَ يَا كُلَيْبُ لِغَيْرِكُمْ | وَالخَيْلُ يَوْمَ تَنَازُلِ الأَبْطَالِ |
| يَا ابنَ المَرَاغَةِ كَيْفَ تَطْلُبُ دَارِماً | وَأَبُوكَ بَيْنَ حِمَارَةٍ وَحِمَارِ |
| إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ | وَأَبُوكَ خَلْفَ أَتَانِهِ يَتَقَمَّلُ |
| فَهَلْ أَحَدٌ يَا ابْنَ المَرَاغَةِ هَارِبٌ | مِنَ المَوْتِ إِنَّ المَوتَ لَابُدَّ نَائِلُهْ |

[1] – الديوان،شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1987، ص305.

| | |
|---|---|
| وَإِنِّي أَنَا الموتُ الذِي هَوَ ذَاهِبٌ | بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلُهْ |

**جرير** [1] :

هو أبو حَزْرة جرير بن عطية بن حُذَيْفة، وهو جده، الملقَّب بـ الخَطفَى، من كُلَيْب ثم من يربوع ثم من تميم ، وُلد بإحدى قرى اليمامة في نجد، أمه حُقة بنت مُعَيْد كُلَيْبيَّة مثل أبيه.

هو من أسرة تقصر عن أسرة الفرزدق جاهًا وشرفًا، ونشأ في بيئة بدوية يتوارث أبناؤها الشعر، وقضى صباه وشبابه يرعى غنم أبيه في وادي المروت، وقد كان أبوه لا يقارن مجدا وسؤددا من والد الفرزدق، ودليل ذلك « أن رجلا قَالَ لجرير من أشعر النَّاس؟ قَالَ قُم حَتَّى أعرفك الْجَواب، فَأخذ بِيَدِه وَجَاء بِهِ إِلَى أَبِيه عَطِيَّة، وَقد أَخذ عَنْزًا لَهُ فاعتقلها وَجعل يمص ضَرْعهَا، فصاح بِهِ : اخْرُج يَا أَبَت، فَخرج شيخ دميم رث الْهَيْئَة، وَقد سَالَ لبن العنز على لحيته، فَقَالَ : أَتَرَى هَذَا؟ قَالَ : نعم، قَالَ : أَو تعرفه ؟ قَالَ : لَا، قَالَ : هَذَا أبي، أفتدري لم كَانَ يشرب لبن العنز؟ قلت : لَا قَالَ : مَخَافَة أَن يسمع صَوت الْحَلب فيطلب مِنْهُ لبن، ثمَّ قَالَ : أشعر النَّاس من فاخر بِمثل هَذَا الْأَب ثَمَانِينَ شَاعِرًا وقارعهم بِهِ فَغَلَبَهُمْ جَمِيعًا» [2] ، وقد كان جرير من أعقِّ الناس لأبيه، فدرج على ذلك ابنه بلال، فلم ينكر عليه.

وبخلاف الفرزدق فقد كان جرير « متعفِّفا لا يتعهر، ولا يشرب الخمر، ولا يشهد مجالس القيان، وكان شديد التعصب للإسلام، كثير الظهور بالدين » [3] يأبى الضيم، ولا يسكت عن الأذى.

أما اتصاله بالأمويين فكان أولا بيزيد بن معاوية عندما كان خليفة بالشام، إلا أنه لم يعرف مكانه كشاعر فحل في بلاط الأمويين إلا في خلافة عبد الملك بن مروان، الذي ناله منه حظوة ونوالا كبيرين.

أما معركته الهجائية الشهيرة فقد كانت مع شاعر تميم الكبير الفرزدق، استمرا يتبادلان النقائض قرابة خمسة وأربعين عامًا، وأثناء تلك المعركة الشرسة، اصطدم مع شعراء كثيرين، من أشهرهم الأخْطل التغلبي، وله معه نقائض كنقائضه مع الفرزدق، وسُراقة بن مِرداس البارقي واللعين المنقري، وعمر بن لجأ التَّيْمي وعدي بن الرقاع العاملي، والراعي النُّمَيْري وغير هؤلاء الفحول، الذين لولا مهاجاتهم لجرير لما عُرف منهم أكثرهم، يقال إنه لم يوجد شاعر في الجاهلية والإسلام تصدى لمقارعة الشعراء مثل ما كان لجرير، فقد كان أكثر من ثلاثة وأربعين شاعرا ينهشه، لم يثبت له إلا الفرزدق والأخطل.

وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، وكان يشبه بالأعشى، وقد اختلف النقاد: أي فحلي تميم أشعر؟ وقد وصل بالناس الخلاف أن تجالدوا بالسيوف، إلا أنهم أجمعوا على رقة النسيب في مطالع قصائده وحسن استهلاله، مما جعل خصمه الألد الفرزدق يحسده على ذلك، وإن كان مكثارا في الهجاء والفخر دون الأغراض الشعرية

---

[1] – قيل إنَّ أم جرير رأت وَهِي حَامِل بِهِ كَأَنَّهَا ولدت حبلاً من شعر أسود، فَلَمَّا خرج مِنْهَا جعل ينزو فَيَقَع فِي عنق هَذَا فيقتله وَفِي عنق هَذَا فيخنقه حَتَّى فعل ذَلِك بِرِجَال كثيرين، فانتبهت فزعة فأولت الرُّؤْيَا فَقيل لَهَا تلدين غُلَاما أسود شَاعِرًا ذَا شدَّة وَشر وشكيمة وبلاء على النَّاس فَلَمَّا وَلدته سمته جَرِيرًا باسم الْحَبل الَّذِي رَأَتْ أَنه خرج مِنْهَا.

[2] – أبو الفتح العباسي عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ج 02، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دت، دط، ص266، 267.

[3] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص 362.

الأخرى فيرجع إلى اشتغاله بالشعراء الذين هجوه، فرد بالمثل، ولكن القليل من الغزل [1]والرثاء، كاف ليشهد بمهاراته فيهما، وهو في المدح لا يقل عن الأغراض الأخرى، فبه كان من المقدمين عند بني أمية، نال الاعتراف بالشاعرية من خصومه فمدحه الفرزدق والأخطل، وفضله عن صاحبيه نُصيب الشاعر ومروان بن أبي حفصة، وحتى إنه قال بعضهم : « بيُوت الشّعْر أَرْبَعَة فَخر ومديح ونسيب وهجاء وَفِي كلهَا غلب جرير فِي الْفَخر فِي قَوْله :

| | |
|---|---|
| إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْك بَنو تَمِيمٍ | حَسِبْتَ النَّاسَ كُلُّهُمْ غِضَابَا |

وَفِي الْمَدْح قَوْله :

| | |
|---|---|
| أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا | وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ |

وَفِي الهجاء قَوْله :

| | |
|---|---|
| فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ | فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا |

وَفِي النسيب قَوْله :

| | |
|---|---|
| إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ | قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا » [2] |

وقد نشأ بينه وبين الفرزدق حب متبادل وعلاقة حميمة، وأصبحت معركتهما الهجائية فنًا واحترافًا لا يمنع من الصداقة، والدليل على ذلك مراثي جرير للفرزدق، وبوفاته أُغلقت صفحة النقائض الباقية وطبق كتابها إلى الأبد، فلحق بالفرزدق خصمه الألد بعد ستة أشهر من وفاته، وقد ناهز الثمانين، ودفن باليمامة.

**نموذج من نقائض جرير :**

- في الأخطل وقومه [3]:

| | |
|---|---|
| إنّي حَلَفْتُ، فَلَنْ أُعَافِيَ تَغْلِباً | للظّالِمينَ عُقُوبَةً، وَنَكَالَا |
| قَبَّحَ الإلهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ، إنَّهَا | هَانَتْ عليّ مَعَاطِساً وَسِبالا |
| المُعْرِسُونَ إذا انْتَشَوْا بِبِنَاتِهِمْ | وَالدّائِبِينَ إجَارَةً وَسُؤَالَا |

[1]– حتى إنه يقول عن نفسه : « ما عشقت قط ولو عشقت لشبَّبت، فإذا سمعت العجوز بكت على ما فات من شبابها » الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج01، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط01، 1420هـ ، ص **113**.

[2] – محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج02، مرجع سبق ذكره، ص379، 380.

[3] – الديوان بشرح محمد بن حبيب، ج01، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط02، 1986، ص 52، 53.

| | |
|---|---|
| وَالتّغْلبِيُّ إذَا تَنَحْنَحَ للقِرَى | حَكَّ اسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الأمْثَالَا |
| عَبَدُوا الصَّلِيبَ، وَكَذّبوا بمُحَمّدٍ، | وَبجبرئيلَ، وَكَذَّبُوا ميكَالَا |
| لا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً مِنْ تَغْلِبٍ، | فَالزِّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمُ أَخْوالَا |
| أَنسيتَ قَوْمَك بالجَزِيرَةِ بَعْدَمَا | كَانَتْ عُقُوبَتُهُ عَلَيْكَ نَكَالا |
| أَلاَ سَأَلْتَ غُثاءَ دجْلَةَ عَنْكُمُ، | وَالخامعَاتُ تُجَرِّرُ الأوْصَالَا |
| حَمَلَتْ عَلَيْكَ حُماةُ قَيْسٍ خَيْلَهَمْ، | شُعْثاً عَوابِسَ، تَحْمِلُ الأبْطَالَا |

وفي الفرزدق والراعي النميري [1]:

| | |
|---|---|
| لَقَدْ خَزِيَ الفَرَزْدَقُ فِي مَعَدٍّ | فَأَمْسَى جَهْدُ نُصْرَتِه اغْتِيَابَا |
| وَلَاقَى القَيْنُ وَالنَّخْبَاتُ غَمّاً | تَرَى لِوُكُوفِ عَيْنَيْه انْصِبَابَا |
| أَتُوعِدُنِي وَأَنْتَ مُجَاشِعِيٌّ | أَرَى فِي جَنْبِ لَحْيَتِكَ اضْطِرَابَا |
| فَمَا خِفْتُ الفَرَزْدَقَ قَدْ عَلِمْتُمْ | وَمَا حَقُّ ابْنُ يَرْبُوعَ أَنْ يَهَابَا |
| أَعَدَّ اللهُ للشُّعَرَاءِ مِنِّي | صَوَاعِقَ يُخْضِعُونَ لَهَا الرِّقَابَا |
| أَنَا البَازِيُّ المُطِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ | أَتَحْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَابَا |
| إِذَا عَلِقَتْ مَخَالِبُهُ بِقَرْنٍ | أَصَابَ القَلْبَ أَوْ هَتَكَ الحِجَابَا |
| تَرَى الطَّيرَ العِتَاقَ تَظَلُّ مِنْهُ | جَوَانِحَ لِلْكَلاَكِلِ أَنْ تُصَابَا |
| فَلَوْ وَضَعَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ | عَلَى خَبَثِ الحَدِيدِ إِذَنْ لَذَابَا |
| فَلَا صَلَّى المَلِيكُ عَلَى نُمَيْرٍ | وَلَا سَقَيَتْ قُبُورَهُمُ السَّحَابَا |
| وَقَدْ جَلَّتْ نِسَاءُ بَنِي نُمَيْرٍ | وَمَا عَرَفَتْ أَنَامِلُهَا الخِضَابَا |
| إِذَا حَلَّتْ نِسَاءُ بَنِي نُمَيْرٍ | عَلَى تِبْرَاكَ خَبَّثَتِ التُّرَابَا |
| وَلَوْ وُزِنَتْ حُلُومُ بَنِي نُمَيْرٍ | عَلَى المِيزَانِ مَا وَزَنَتْ ذُبَابَا |
| فَصَبْراً يَا تُيُوسَ بَنِي نُمَيْرٍ | فَإِنَّ الحَرْبَ مُوقِدَةٌ شِهَابَا |
| فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ | فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا |

**أبيات سائرة لجرير في فن النقائض :**

| | |
|---|---|
| إنَّ الذي حَرَمَ الخِلَافَةَ تَغْلِباً | جَعَلَ النُّبُوَةَ وَالخِلَافَةَ فِينَا |

[1] – المصدر السابق، ج02، ص819، 820.

| | |
|---|---|
| مُضَرُ أُبِي وَأُبُو المُلُوكِ وَهَلْ لَكُمْ | يَا خُرْزَ تَغْلَبَ مَنْ أَبٍ كَأَبِينَا! |
| هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةٌ | لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمُ إِلَيَّ قَطِينَا |
| أَلا قَبَّحَ اللهُ الفَرَزْدَقَ كُلَّمَا | أَهَلَّ مُهِلٌّ بِالصَّلاةِ وَكَبَّرَا |
| فَإِنَّكَ لَوْ تُعْطِي الفَرَزْدَقَ دِرْهَماً | عَلَى دِينِ نَصْرَانِيةٍ لَتَنَصَّرَا |
| التَّغْلِبِيُّ إِذَا تَمَّتْ مُرُوءَتُهُ | عُبْدٌ يَسُوقَ رِكَابَ القَوْمِ مُؤْتَجِرُ |
| وَمَا لِتَغْلِبَ إِنْ عَدُّوا مَسَاعِيهِمْ | نَجْمٌ يُضِيءُ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ |
| إِنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ | حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ |
| أَعْدَدْتُ لِلشُّعَرَاءِ سُمّاً نَاقِعاً | فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ |
| لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الفَرَزْدَقِ مِيسَمِي | وَعَلَى البَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ |
| زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مِرْبَعاً | أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مِرْبَعُ |
| خُذُوا كُحْلًا وَمِجْمَرَةً وَعِطْرًا | فَلَسْتُمْ يَا فَرَزْدَقُ بِالرِّجَالِ |

ولعلنا إذا أردنا أن نقيم مقارنة بين هؤلاء الشعراء الثلاث، نجد أن « الإطار الذي وُضعت فيه نقائض جرير والفرزدق، أكمل وأدق من الإطار الذي وُضعت فيه نقائض جرير والأخطل بحكم طول المسافة التي شغلتها النقائض الأولى، ثم بحكم أنها أخذت بين الشاعرين شكل مناظرات تامة » [1]، ولعل هذا ما حدا بالقدامى والمحدثين أن يحيطوا نقائض جرير والفرزدق بالأهمية والعناية والدراسة، وخير دليل شرح أبي عبيدة لهذه النقائض شرحا وافيا ذكر فيه بالتفصيل لأيام العرب ووقائعها في الجاهلية والإسلام، أما إذا أردنا أن نحاكم الشعراء الثلاثة إلى الأغراض الشعرية التي قالوا فيها؛ فيظهر الفرزدق متفوقا في الفخر، والأخطل متفوقا في المدح ووصف الخمر، وجرير، فيتفوق في الهجاء والرثاء والغزل، فقد « قِيلَ لِلْفَرَزْدَقِ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قَالَ: كَفَاكَ بِي إِذَا افْتَخَرْتُ، وَبِجَرِيرٍ إِذَا هَجَا، وَبِابْنِ النَّصْرَانِيَّةِ إِذَا امْتَدَحَ » [2]وإن كان كل واحد مجيدا في غرض من الأغراض، فإن أكثر الدارسين أن جريرا، يجيد القول فيها جميعها، لكنه برز فيما ذكرنا، وبخاصة الهجاء ؛ الذي نراه فيها أشد عنفا، وأبعد قعرا، وأنكى جرحا، « فهو حين يصل إليها يشبه الطائر الجارح حين ينقض على فريسته، يريد أن لا يُبقي فيها شيئا، ولعل ذلك ما جعله يلجأ في أحوال كثيرة إلى هتك الحرمات والأعراض، كأنه يريد أن يمزق خصمه تمزيقا » [3]، ولكن قولنا هذا لا يعني تفوقه على صاحبيه في النقائض، لأن الأخيرة، وإن كان الهجاء أبرز غرض فيها، فهي تحتوي كذلك على أغراض أخرى وأبرزها الفخر، فجرير والأخطل كانا كفرسي رهان، يغلب منهما البادئ بالنقيضة، لأنه لا يتقيد بمعان وأوزان معينة وقواف خاصة، ولهذا نجد الأخطل في كثير من نقائضه، التي كان هو البادئ فيها، قد أجاد وفاق براعة جريرا، أما شأن الفرزدق وجرير، فإن الأمر بينهما غير محسوم، فمرة يكون الفرزدق هو المقدم خاصة إذا فخر

[1] – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص203.

[2] – أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج04، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط03، 1985، ص 589.

[3] – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص209.

بآبائه، واستحضر أمجاد قومه، ومرة يكون جرير هو المقدم إذا أفحش وأقذع في الهجاء، ولعل نقائض جرير والفرزدق هي أهم من من نقائض جرير والأخطل، لا « بسبب سبقها في الابتداء [1]، ولا بسبب أنها كانت أطول عمرا [2]، بل بسبب أن قصائدها، كانت أكثر عددا، وأنها أكمل فنًّا وأتمُّ صنعا » [3]

[1] – يحددُّ الدارسون بدايات النقائض بين جرير والفرزدق بين عامي ( 65هـ –67هـ )، وجرير والأخطل في 73هـ ( في زمن ولاية بشر بن مروان على العراق )

[2] – نقائض جرير والفرزدق دامت زهاء خمسة وأربعين عاما، وانتهت بوفاة الفرزدق، أما جرير والأخطل فقاربت العشرين عاما، وانتهت بوفاة الأخطل.

[3] – سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 373.